

خطبة الجمعة

الأستاذ أحمد العمري
إمام أستاذ، مسجد الأنصار، الجزائر العاصمة

الخطبة الأولى

الحمد لله القوي المتين، الناصر المعين، المؤيد لمن حمل راية نصر الدين، نحمده سبحانه على لطفه وإحسانه، ونشكره تعالى على تفضله وإنعامه، ونسأله مزيد من أفضاله. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعز من يشاء، وما النصر إلا من عنده جل وعلا، وهو العزيز الحكيم.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبد الله ورسوله، وصفية من خلقه وخليفه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين: أما بعد،

فيقول الله عز وجل: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَنْخَظِفَكُمُ النَّاسُ فَغَاوَبَكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ. وَزَفَّكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁽¹⁾. إن هذا النص المبارك لينطبق بعموم لفظه علينا في هذه البقعة المباركة من أرض الله تعالى، التي تسمى بالجزائر، فقد أتت علينا مرحلة من الزمن استضعفنا فيها الغزاة الفرنسيون، فلم نكن نأمن فيها على أنفسنا وأعراضنا وأموالنا... ثم وبعد تضحيات جسام أتت بشائر النصر، وبدلنا الله بعد خوفنا أمانا، وبعد استعمارنا حرية وسيادة: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁽²⁾.

فاذكروا هذا أيها المؤمنون، واشكروا الله على نعمة النصر والتمكين، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾⁽³⁾.

أيها الإخوة، إن التاريخ هو ذاكرة الأمة ولسانها، وبالذاكرة تعقل وباللسان تنطق محاربة أو مسالمة، وعلى أسس التاريخ يبني الحاضر والمستقبل، لذلك سنكشف في خطاب اليوم عن بعض الحقائق التاريخية الهامة، من خلال ثورة نوفمبر المجيدة.

1. ما أخذ بالقوة لا يُسترد إلا بالقوة: فاستقللنا، واسترجع سيادتنا الوطنية، ما كان ليقدم لنا هدية سائغة أو عطاء لا مقابل له، بتاريخ لها مثلاً، وهل كان لفرنسا أن تصغي لمفاوضاتنا، أو تستجيب لمطالبنا، لولا ثورة نوفمبر المجيدة التي أخذت تشق طريقها نحو فجر الحرية والسيادة تحت قوافل الشهداء الأبرار، نحن كما قال الشاعر:

لَمْ يَكُنْ يُصْغَع لَنَا لَمَّا نَطَقْنَا فَاتَّخَذْنَا رَنَّةَ الْبَارُودِ وَزَنَا

ومن جملة الأباطيل التي حاول أذئاب الغرب إصاقتها بثورتنا وتاريخنا ظلماً وزوراً، قولهم : إن استقلال الجزائر كانت نتيجة لمفاوضات سياسية خارجية !!

إن هذا لإفك مبین، وتزوير للحقائق التاريخية، وخيانة وإجحاف لثورة دفعت ثمن حريتها مليوناً ونصف مليون شهيد أو يزيدون، وما قال عاقل بأن المفاوضات تحرر الأوطان، ولو كان ذلك حاصلاً لحصل لفلسطين الحبيبة، فكم فاوضت ولا تزال تفاوض دون طائل، ولو بقي الشعب الجزائري مكتوف الأيدي ثم راح يفاوض للقي نفس المصير، ولذلك فإن في كفاح الجزائر أسوة حسنة لمن كان يرجو الحرية والانتصار، «فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة»، وهي حقيقة يشهد لها الواقع التاريخي وبقراها العقل والمنطق.

2. ربانية الثورة الجزائرية ومظاهرها: كما ينبغي أن نعلم يقيناً بأن ثورتنا المجيدة (التي صنعت التاريخ، وبهرت العالم، وقهرت الجبارة، وقصمت ظهور الأكاسرة، وغيرت مجرى الأحداث، وأعطت لشعوب العالم دروساً عملية في الجهاد والتضحية والثبات والاستشهاد.

إن هذه الثورة تختلف وتتميز عن كثير من الثورات والمقاومات في العالم بأمر هام، قلما يتطرق إليه المؤرخون والمحللون والباحثون، على الرغم من كونه العامل الحاسم، والمؤثر في النصر والتمكين، ألا وهو «الجانب الرباني في ثورة التحرير المباركة»، فلقد كانت ثورتنا ربانية من أول وهلة، فنشيدوها «الله أكبر»، وكلمة سرها «عقبة بن نافع» و«طارق»، سلاحها هم المجاهدون، وقتلاها: هم الشهداء، وقادتها: هم حملة القرآن الكريم.

وإن بيان أول نوفمبر ليقرر هذه الحقيقة الهامة بوضوح، إذ نص أن الهدف الأول للثورة هو: «إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية»، ثم إن الاستعمار الفرنسي، كما يقول البشير الإبراهيمي رحمه الله: «صليبي النزعة، فهو منذ احتل الجزائر، عمل على مَحْو الإسلام، وعلى مَحْو اللغة العربية، لأنها لسان الإسلام، وعلى محو العروبة، لأنها دعامة الإسلام. وقد استعمل جميع الوسائل المؤدية إلى ذلك».

ولما أبى الشعب الجزائري أن يحدد عن أصله، قوبل الشعب الجزائري بأبشع جرائم التقتيل والاضطهاد، قوبل بأبشع جرائم التقتيل والاضطهاد، والتعذيب الجماعية، وتفنن مصاصو الدماء من قادة الجيش الفرنسي في التنكيل بالجزائريين، وابتدعوا من أساليب التعذيب والقتل ما لم يكن يخطر على بال أحد قبل ذلك، وجرائمهم في ذلك غير خافية ولا تحتاج إلى دليل.

وبهذا كله يتجلى لنا أن الحرب الفرنسية على الجزائر لم تكن معركة تراب أو موارد وثروات طبيعية، بل كانت غزوا فكريا، ومسح هوية وطنية، وبالمقابل تحرير كانت ثورة ربانية، لكونها معركة عقيدة وإيمان، ومعركة صليب وهلال، وشهد شاهد من أهلها وهو وزير الخارجية الفرنسية آنذاك الذي صرح قائلا: «إنها معركة الصليب والهلال...، ولا بد أن ينتصر الصليب»، وقال أحد جنرالاتها: «وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا». والحق ما شهدت به الأعداء.

3. نصوص القرآن تشهد لربانية ثورتنا وحينما نرجع إلى القرآن الكريم نجده يكشف لنا في العديد من آياته عن طبيعة وحقيقة أعداء الإسلام، ويبين لنا غاياتهم وأهدافهم، وما تكنه ضمائرهم من حقد دفين على حملة هذا الدين ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾⁽⁴⁾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾⁽⁵⁾.

والشاهد في ذلك أن غاية الكفار من قتال المسلمين هي إخراجهم عن دينهم، بمختلف الوسائل، سواء الوسائل المسلحة، أو الوسائل الفكرية والثقافية، كتلك التي جربها الاستعمار ضدنا، وهذا ما يؤكد ربانية ثورتنا، فقد كانت معركة عقائدية، بين الكفر

والإيمان... الاستعمار الفرنسي كان عازما على محو عقيدة التوحيد لتحل محلها عقيدة الصليب، والثورة الجزائرية كانت دفاعا عن عقيدة التوحيد وحفظا للدين الذي أنزلت الشرائع لحفظه، ولأجل ذلك استحققت نصر الله وتأييده، لأنها كانت تهدف إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل، ولو لم تكن تلك غايتها لما استطاعت إلى تحقيق النصر سبيلا، فإن المعركة بيننا وبين فرنسا لم تكن متكافئة عددا وعدة وإنما نصرنا الله تعالى - على الرغم من قلة عددنا وعتادنا - لأن ثورتنا كانت نصرة للحق ومن أجل إعزاز الدين والتمكين له، قال تعالى: ﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنَّ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾⁽⁶⁾.

والنتيجة أن ثورتنا المجيدة إنما استحققت نصر الله وتأييده ؛ لأنها نصرت الله تعالى.

4. ربانية ثورتنا هي قوام حياتنا: وتلك هي ربانية ثورتنا التي ينبغي أن نعيها، وننقلها للأجيال ذكرا مجيدا ؛ ليعلموا أن سر قوتهم يكمن في التمسك بهذا الدين، الذي تمسك به أجدادهم وآباؤهم، فاستحقوا النصر والتمكين، وأنا متى تنكرنا لديننا أو انحرفنا عن منهجه كنا عرضة للهزائم والزوال والاندثار. والله ما أروعها من كلمات تلك التي عبر بها مفدي زكريا عن ربانية ثورتنا محذرا من عواقب الانحراف عنها - فقال رحمه الله:

شَرِبْتُ الْعَقِيدَةَ حَتَّى الثُّمَالَةِ	فَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِرَبِّ الْجَلَالَةِ
وَلَوْلَا الْوَفَاءُ لِإِسْلَامِنَا	لَمَّا قَرَّرَ الشَّعْبُ يَوْمًا مَالَهُ
وَلَوْلَا اسْتِقَامَةُ أَخْلَاقِنَا	لَمَّا أَخْلَصَ الشَّعْبُ يَوْمًا نِصَالَهُ
وَلَوْلَا تَحَالُفُ شَعْبٍ وَرَبِّ	لَمَّا حَقَّقَ الرَّبُّ يَوْمًا سُؤَالَهُ
لَهُوَ الدِّينُ يَغْمُرُ أَرْوَاحَنَا	بُنُورِ الْيَقِينِ وَيُرْسِي الْعَدَالَةَ
إِذَا الشَّعْبُ أَخْلَفَ عَهْدَ إِلَاهِهِ	وَخَانَ الْعَقِيدَةَ فَارْقُبْ زَوَالَهُ

5. لا تنسوا فضل شهدائكم إن ما أحرزناه من نصر، وما ننعم به اليوم من حرية و سيادة، وأمن واستقرار؛ فبسبب تضحيات الشهداء الأبرار، الذين قدموا أرواحهم فداء لعقيدتهم وشعبهم ووطنهم، وبذلوا في سبيل ذلك دماءهم الطاهرة ولهذا كان فضلهم علينا عظيماً، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾⁽⁷⁾.

وكيف يمكن لحر أصيل أن ينسى أو يتناسى فضل من أكرمه و أحسن إليه، خصوصاً إذا كان ذلك المحسن قد ضحى بحياته من أجل سعادتنا وسيادتنا...!!! وهذا ما فعله الشهداء الأبرار من أجلنا، ولسان حالهم يقول:

وَاقْضِ يَا مَوْتُ فَيَّ مَا أَنْتَ قَاضٍ أَنَا رَاضٍ إِنْ عَاشَ شَعْبِي سَعِيداً
أَنَا إِنْ مِتُّ فَالْجَزَائِرُ تَحْيَا حُرَّةً مُسْتَقِلَّةً لَنْ تَبِيداً

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه تجدوه غفوراً رحيماً.
الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين: أما بعد:

فإنه حينما نتذكر تلك الأيام نشعر بعظم المسؤولية والأمانة التي ألقاها الشهداء البواسل على عواتقنا وأعناقنا، وما أدراك ما أمانة الشهداء؟ إنها أمانة العهد الذي عاهدوا الله عليه، وقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه؛ إذ قاموا فقالوا: نحن ثرنا فحياة أو ممات وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر فاشهدوا...!

إنهم يستشهدوننا على هذا العهد الذي عاهدوا الله عليه، ألا فلتشهد الأجيال، وليشهد التاريخ ولتشهد الدنيا برمتها، ونحن على ذلك من الشاهدين، أن شهداءنا البواسل قد صدقوا ما عاهدوا الله عليه؛ إذ قدموا أرواحهم رخيصة فداء لعقيدتهم ووطنهم وشعبهم، وإذن فلا خير فينا إن نسينا فضلهم علينا وتضحياتهم من أجلنا، وهل ينكر فضل من أحسن إليه إلا لئيم، أو يتنكر لأصله وتاريخه إلا زنيم.

ولن نكون مبالغين إن قلنا: إن كل ذي فضل يمكن مكافأته على فضله إلا الشهداء، فإن لهم فضلا سابقا لا يكافئهم عليه إلا الله تعالى، فها أنتم اليوم تتمتعون برغد العيش وتأكلون مما لذ وطاب، وتنعمون بالحرية والسيادة، وتنامون في دياركم آمنين مطمئنين، من أين لكم هذا لولا الله ثم تضحيات الشهداء؟ والقرآن العظيم يقول لكم: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَنْخَظَفَكُمْ النَّاسُ فَكَاؤِبِكُمْ وَأَيْدِكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁽⁸⁾.

صَيِّحَةٌ تَرْجُفُ الْعَوَالِمَ مِنْهَا وَنِدَاءٌ مَضَى يَهْزُ الْوُجُودَا
اشْتُقُونِي فَلَسْتُ أَخْشَى حَبَالَا وَاصْلُبُونِي فَلَسْتُ أَخْشَى وَعِيدَا
وَاقْضِ يَا مَوْتُ فَيَّ مَا أَنْتَ قَاضٍ أَنَا رَاضٍ إِنْ عَاشَ شَعْبِي سَعِيدَا
أَنَا إِنْ مِتُّ فَالْجَزَائِرُ تَحْيَا حُرَّةٌ مُسْتَقِلَّةٌ لَنْ تَيْدَا

نعم، يا إخوة الإيمان، هكذا كانت صرختهم جميعا.

صَرْخَةٌ رَدَّدَ الزَّمَانُ صِدَاَهَا فَأَحْسَنَ التَّرْدِيدَا

احْفَظُوهَا كَالْمَثَانِي وَانْقُلُوهَا لِلْجِيلِ ذِكْرًا مَجِيدَا

فيا إخواني ويا أجيال اليوم، ويا طلائع الأمل وبناء المستقبل، لا تنسوا تاريخكم وأمجادكم وشهداءكم.

مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ نَسُوا تَارِيخَهُمْ كَلْقِيطٍ عِي فِي الْحَيِّ انْتِسَابَا
أَوْ كَمَغْلُوبٍ عَلَى ذَاكِرَةٍ يَشْتَكِي مِنْ صِلَةِ الْمَاضِي انْقِضَابَا

وخلاصة الخطاب أيها الإخوة: أن الشهداء قد وفوا بعهدهم، ويجب على الأجيال الحاضرة والمستقبلية أن تفي بعهدهم، ألا وإن من الوفاء للشهداء أن نسير على النهج الذي خطوه بأقلامهم ثم وقعوه بدمائهم.

ذلكم النهج المتمثل بإيجاز في حفظ الأرض التي زرعوها بأعظمهم وسقوها
بدمائهم، وإنما نحفظها ونحميها بالوفاء لإسلامنا، والمحافظة على وحدتنا الوطنية،
فلولا الوفاء لإسلامنا لما قرر الشعب يوما مآلا، ولولا اتحادنا لما حققنا يوما
انتصارا، فقوتنا تكمن في اعتصامنا بإسلامنا وتمسكنا باتحادنا وأخوتنا، فمهما كانت
الظروف قاسية، ومهما تغيرت الأوضاع واشتدت الأزمات، فشعارنا السرمدي :
الجزائر أولا وقبل كل شيء ، كما قال العلامة ابن باديس رحمه الله تعالى .

اللهم ارحم علماءنا وشهداءنا، وتقبل أعمالهم وجهادهم، اللهم اجعل بلدنا
هذا بلدا مطمئنا سحاء رخاء وسائر بلاد المسلمين، ووفق ولي أمرنا لما تحبه
وترضاه، اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعزّ فيه أهل طاعتك ويذلّ فيه أهل
معصيتك، اللهم اغفر لنا تقصيرنا وانحرافنا ورُدّنا إلى ديننا ردّا جميلا، اللهم
اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، وسبحانك اللهم
وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الهوامش

- (1) سورة الأنفال/26.
- (2) سورة الأنفال/10.
- (3) سورة إبراهيم/7.
- (4) سورة البقرة/120.
- (5) سورة البقرة/217.
- (6) سورة الحج/40.
- (7) سورة البقرة/237.
- (8) سورة الأنفال/26.